

العهد القديم

سفر الخروج

مقدمة

الخروج هو أهمّ حدث في تاريخ الشعب الإسرائيلي، وسفر الخروج هو جزء من الكتب الخمسة للتوراة المسماة بكتب الشريعة وهي: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر الأعداد، سفر العدد و سفر تثنية الاشتراع.

إن ما نقرأه في سفر الخروج ليس تاريخًا بل هو رسالة لاهوتية ألا وهي أن الله قد اختار شعبه بشكل مُميّز، ثم خلّصه من العبودية في مصر مُنصّرًا بذلك على الاعداء وعلى الآلهة الأخرى، آلهة عدم الانتظام والفضوى. إذن الإله يهوه هو المنصّر الحقيقي على إله الفضوى (الإله الذي كان موجودًا قبل الخلق بالنسبة إلى الشعوب اليونانية، المصرية وسائر الشعوب) وبالتالي فإن كتاب سفر الخروج هو كتاب لاهوتي وليس تاريخي.

تاريخ الشعب العبراني وعلاقته بالشعب المصري في العهد القديم

حكّم شعب الهكسوس مصر من السنة ١٧٣٠ ق.م إلى السنة ١٥٥٠ ق.م، بعدها قام المصريون بثورة وطردوهم، فأصبح المصريون يحذرون من كل القبائل السامية ويخافون من اتحادها مع الشعوب التي كانت تُحارب الفراعنة.

خلال هذه الفترة، قبائل كثيرة نزلت إلى مصر مع عشائر أخرى من الآباء مرتبطة بالآراميين، سميت بالعبرانيين لأنهم كانوا يعبرون من فلسطين إلى مصر ومن مصر إلى فلسطين.

كانت طبيعة الحكم عند المصريين تفرض تسيير الشعب لكي يعمل لحساب الملك لفترة معينة من الزمن، نجدُ مثالاً واضحاً لهذا في سفر التكوين إذ كان الشعب يبيع

نفسه لفرعون مقابل الحصول على الطعام (راجع تك ٤٧، ١٣-٢٦). فإذا كان الشعبُ المصري يَعْمَلُ فعلى الشعوبِ الغَريبةِ بطبيعة الحال أن تَعْمَلَ أيضًا.

سَكَنَ قِسم من الشعبِ العبراني في مصر، وأجبروا على العمل من أجل فرعون لِبِناءِ أهراءاتٍ لِتُخزِنِ القَمَحَ والاسلِحَةَ. وَصَلَ أشْخاصٌ منهم إلى مَرَاتِبِ مُهمَّةٍ في بلاطِ الفرعون (موسى، يوسف) وقد تَعَلَّموا اللُغةَ المِصرِيَّةَ لكي يَكُونوا وسطاءَ بين فرعون وبين سائرِ الشعوبِ السامِيَّةِ.

القِسم الثاني من العبرانيين كان يُقيم في منطقة فلسطين والاردن، أمَّا القِسم الثالث فكان يَبْتَئِلُ بين فلسطين ومصر.

الشعوب أو القبائل الأولى التي خَرَجَتْ من مصر بِفِعْلِ الطرد (خُروج أول) أو هَرَبًا من ظلم فرعون (خُروج ثاني)، قد النَّقَّتْ في منطقة فلسطين مَعَ العبرانيين المُقيمين أصلاً فيها وَمَعَ الشعوبِ العَابِرَةِ من مِصر إلى فلسطين. كَانَتْ تِلْكَ القبائلُ تَتَحَارَبُ مَعَ بَعْضِهَا البَعْضُ فكان من الطَّبِيعِيِّ أن يُصارَ إلى إيجاد تحالفات بينها فنمت ثلاث تحالفات مهمة واتخذت كلِّ فئةٍ واحدٍ من الآباء ليكون أساساً لهذه الوحدة:

الأولى تُقيم جنوباً في منطقة حبرون واتخذت ابراهيم أباً لها.

الثانية تُقيم في الوَسَطِ أي في منطقة شكيم وبرزابا واتخذت اسحق.

الثالثة تُقيم شَمَالاً في منطقة افرائيم وشيلو واتخذت يعقوب.

بعد ذلك توصلت هذه العشائر إلى الاتحاد فيما بينها على أن يكونوا جميعاً أولاد الآباء الثلاثة: إبراهيم، إسحق ويعقوب.

الصراع الدائم بين هذه القبائل والقبائل الأخرى والممالك أدَّى إلى وُجُوبِ وُجُودِ مَلِكٍ يَكُونُ القائد في المعارك ويجمع الشعب تحت حكم واحد. أول مَلِكٍ كَانَ شَاوُل، ثُمَّ أَخَذَ داوُدُ مِنْهُ المُلُوكِيَّةَ بِالقُوَّةِ. خَلَفَ داوُدَ ابْنُهُ سليمان، وهو كان مَلِكًا حَكِيمًا، فَقَدَ صَاهِرَ الشعوبِ المُجاوِرَةِ لكي يُقِيمَ السَّلَامَ مَعَهَا. بعد المَلِكِ سليمانِ انْقَسَمَتِ المَمْلَكَةُ مَعَ ابْنِهِ البكر ياربعام إلى منطقتين:

مَمْلَكَةُ الشَّمَالِ أو اسرائيل، عاصمتُها السامرة ومَمْلَكَةُ الجَنُوبِ أو منطقة يهوذا، عاصمتُها أورشليم.

كثير من الحروب طغت على السلام بين هاتين المملكتين إلى أن تمّ جلاء مملكة الشمال على يد شلمنآصر، وجلاء مملكة الجنوب على يد نبوكدنصر وكان السبي إلى بابل.

كتابة الأسفار

أمّا من حيث كتابة الأسفار الكتابية فقد صير إلى الصيغة النهائية في وقت متأخر. إذ كان لكلّ قبيلة تقاليد خاصّة بها وهي متناقلة شفهيًا من جيل إلى جيل.

- التقليد اليهودي هو أوّل تقليد؛ قد كُتب في جنوب إسرائيل. سُمّي كذلك لاستعماله كلمة يهوه (الربّ، السيّد) للدلالة على الإله.

- التقليد الثاني كُتب بعد فترة في منطقة الشمال؛ وقد سُمّي بالتقليد الإيلوهيمي وذلك لاستعماله كلمة إيلوهيم (الله) للدلالة على الإله.

- التقليد الثالث هو تثنوية الاشتراع وقد كُتب حوالي القرن السابع ق.م.

- أمّا التقليد الرابع فهو التقليد الكهنوتي الذي كُتبه كهنة الهيكل في القرن السادس ق.م وهو يُركّز على الهيكل وخدمات الهيكل (سفر الاحبار هو قسم من التقليد الكهنوتي).

بعد السبي قرّر الملك يوشياّ جمع الشعوب العائدة من السبي فجمع التقليدين اليهودي والإلوهيمي.

في القرن الرابع اجتمعت كلّ التقاليد مع بعضها عندما أصبح عظيم الكهنة هو بمثابة الملك لأنه لم يعد للشعب اليهودي أنها ملك خاصّ به، وأصبح يوجد خمسة كُتب توراة مجموعة.

سفر الخروج هو كتاب من كتب التوراة جمع في وقت متأخر، لكن حدث الخروج كان موجودًا في ذاكرة الشعب، بنوع خاصّ قصة الهرب مع موسى، هذا الخروج قد اجتدب نحوه كلّ أنواع الخروج وقصصه التي تناقلها الناس من جيل إلى جيل.

الرسالة اللاهوتية لسفر الخروج

سفر الخروج يُخبر كيف اختار الله موسى وكيف انتصر على فرعون وجنوده دون أن يتدخل في ذلك الشعب: فانه يحارب عنه. كما يشدد على أهمية الثبات في العهد مع الله ففي كل مرة كان الشعب يقض عهده مع الله أصابته المصيبة. إنه انتصار الله على آلهة الفوضى وأتباعها (فرعون، السخرة، العبودية...).

الله لا يعمل رغماً عن الإنسان فقد اختار موسى ليكون حامل الرسالة إلى الشعب وإلى فرعون والناطق الرسمي باسمه (نبي). رفض موسى ذلك في بادئ الأمر وحاول التهرب مرّات كثيرة وفي كل مرة كان الله "يقنعه" بأنه يجب عليه القيام بالمهمة وكان آخر عذر له أنه لا يجيد الكلام، فلسانه ثقيل، فأوكل الله إلى أخيه هارون أن يتكلم عنه. قال الله لموسى: سوف تكون كإله لفرعون وهارون يكون نبياً لك (خر ٧، ١-٢).